المبحث الرابع

الحرية المفقودة

علاقة الصحافة بالسلطة الوطنية فى أفريقيا(*)

دراسة حالة "غانا" من الاستقلال حتى بداية التسعينات

---

* أجرى الدراسة: أ.د. حسنى نصر – كلية الإعلام جامعة القاهرة

مقدمة:

يبدو تاريخ وسائل الإعلام فى العالم الثالث مختلفاً تماماً عن مثيله فى الدول الغربية. فالدول النامية لم تشهد تطوراً فى وسائل الإعلام يصاحبه نمو اقتصادي أو صعود طبقة جديدة كما حدث مع الإعلام الغربى. فقد تركزت أولويات العمل الوطنى فى دول العالم الثالث فيما بعد الحرب العالمية الثانية فى تحقيق الاستقلال السياسي والبناء السياسي والاقتصادي للدولة. بالإضافة إلى ذلك فقد كانت هناك عقبات كثيرة أمام تطور وسائل الإعلام فى هذه الدول، أهمها عدم كفاية الموارد المالية، والأمية وتنوع وتعدد اللغات المحلية و استمرار التبعية للقوى الاستعمارية السابقة. كما لازالت أفريقيا تمثل أعلى معدلات الأمية فى العالم وأقل مناطق العالم تعرضاً واستهلاكاً لوسائل الإعلام.

وخلال الفترة الاستعمارية، التي استمرت منذ نهاية القرن التاسع عشر حتى الستينات من القرن العشرين، كانت معظم الصحف إما مملوكة للمستعمرين الأوربيين فى المدن، أو لأعضاء البعثات التبشيرية فى المناطق الريفية، وكانت كلها – في الغالب – تصدر بلغات أجنبية. وخلال مرحلة النضال الوطنى التى خاضتها دول القارة من أجل الاستقلال لعبت الصحافة التى قادها مثقفون وطنيون دوراً مهماً في التعبئة الأيديولوجية ودعم الوحدة الوطنية والتنمية. وقد كان معظم قادة النضال الوطنى وحركات الاستقلال صحفيين فى الأصل، لذلك نظروا إلى وسائل الإعلام كمؤسسات مهمة جداً للتغيير السياسى والتنمية الوطنية. وقد صاحب هذا التطور اتجاه الباحثين الغربيين فى الإعلام إلى النظريات الإعلامية التى تؤكد على دور وسائل الإعلام كأدوات للتحديث ونشر الأفكار المستحدثة.

وقد كان من أهم وأبرز أهداف الدول المستقلة الجديدة فى أفريقيا خلق صحافة، تُحدد دورها فى ضوء ظروف المجتمعات الجديدة. لقد ناضل قادة الاستقلال الأفريقى من أجل إحلال مؤسسات وطنية محل المؤسسات السياسية الأوربية وإحلال أيديولوجية جديدة إلى جانب تغيير الصورة التى رسمها الغرب الاستعماري للمجتمع الأفريقى وذلك من خلال مؤسسات وطنية من أهمها الصحافة الأفريقية. وقد كان الأمل فى

الصحافة الوطنية أن تتولى تشجيع الوحدة الوطنية والتنمية والتحول الأيديولوجى ودعم خطط التعليم نحو تحقيق الغايات الاقتصادية والاجتماعية ولخدمة الأهداف الأفريقية بصفة أولية.

لقد تولى الزعماء الوطنيون بأنفسهم مهمة تحديد أهداف الصحافة الأفريقية النامية. وكان من أبرز هؤلاء الزعماء كوامى نكروما فى غانا وجومو كنياتا فى كينيا. وقد أسند هؤلاء الزعماء إلى الصحافة مهام عديدة و اعتبروها أدوات ثورية فى النضال الأفريقى من أجل الاستقلال. وأدى النظر إلى الصحافة كقوة في البناء الوطنى إلى اعتبار الصحافة امتداد مكمل للحكومات في سعيها إلى تحقق التنمية السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وكان من المأمول أن تسهم أنظمة الإعلام الجديدة فى خلق هوية وطنية مستقلة وبناء الاقتصاد الوطنى ودعم الانتماء للوطن. ومن هنا اتجهت معظم الحكومات إلى استخدام وسائل الإعلام كأدوات مباشرة لدعم التنمية الوطنية والوحدة والاستقرار السياسى، وإجمالاً للعمل كمؤسسات للتعليم وللتغيير فى المناطق الأقل نمواً.

والواقع إن الأهداف والوظائف التى أسندت لوسائل الإعلام فى دول أفريقيا وفى غيرها من البلدان النامية قد وجدت تأييداً كبيراً من جانب العديد من الباحثين الغربيين في الإعلام ومن جانب المنظمات الدولية وعلى رأسها منظمة التربية العلوم والثقافة (اليونسكو) في إطار مشروعها الشهير لبناء نظام إعلامى عالمى جديد. هذه الأهداف الإيجابية التي أسند للصحافة تحقيقها تطلبت أن تعمل الصحافة كعنصر رئيسى فى التنمية بهدف تغيير طرق حياة وقيم القراء في اتجاه التحديث، ولم يكن هذا سهلاً على أية حال. ومن الواضح أن هذا المفهوم الأفريقى لدور الصحافة يختلف تماماً عن المفهوم الغربى الذي ينظر لحرية الصحافة كهدف فى حد ذاته ويعتبر أن أهم وظيفة للصحافة هو أن تعلم و تخبر بموضوعية فى مجالات التنمية السياسية وباستقلالية تامة عن الحكومة وأيديولوجيتها.

لقد ظلت الوظائف التنموية لوسائل الإعلام الأفريقية كثيراً ما تتردد فى تصريحات القادة السياسيين والباحثين بينما ظلت منطقة مجهولة ومبهمة وغامضة بالنسبة للصحفيين. والمشكلة الرئيسية التي تواجه قيام الصحافة بهذه المهمة التنموية

أن هذه المهمة تعارضت بمرور الوقت مع استقلال وموضوعية الصحافة وقدرتها على النقد، وذلك على الرغم من تأكيدات الزعماء على حرية الصحافة. ففى الحقيقة أن الصحافة في دول أفريقيا السوداء تخضع لضغوط رقابية شديدة من جانب الحكومات لفشلها فى الإعلام بموضوعية فى الشؤون العامة لهذه الدول، رغم أنه ليس بالضرورة أن تشجع الصحافة التنموية على الرقابة، كما أن أهدافها تخضع لجدل دولى كبير ومتزايد.

مشكلة البحث :

يدور موضوع البحث حول العوامل المؤثرة فى حرية الصحافة في أفريقيا جنوب الصحراء، بعد حصول جميع دولها على الاستقلال، أي فى الفترة الممتدة من الاستقلال حتى مطلع التسعينات، من خلال دراسة التطور العام لهذه الحرية فى إحدى الدول الممثلة للقارة، أو على وجه التحديد الممثلة لمناطق النفوذ الإنجليزي السابق، وهى غانا. وتتبلور مشكلة البحث فى تساؤل رئيسى مؤداه: هل نالت الصحافة الأفريقية حريتها بعد خروج المستعمر وانتصار الحركات الوطنية وقيام أنظمة الحكم الوطنى؟ أو ما الفروق الأساسية بين حرية الصحافة في العهد الاستعماري للقارة الأفريقية، وبين حرية الصحافة فى فترة ما بعد انتهاء هذا العهد؟ بمعنى آخر ما الجديد الذي قدمته الحكومات الوطنية – مدنية وعسكرية – لحرية الصحافة إيجابيا أو سلبيا؟ وهل اختلفت درجة الحرية التى تمتعت بها الصحافة الأفريقية باختلاف نوع الحكومة القائمة (مدنية وعسكرية)؟.

الدراسات السابقة :

يكاد التراث العلمي العربى الخاص بالصحافة الأفريقية أن يكون منعدما، فباستثناء الكتاب الذي وضعته عواطف عبد الرحمن عن الصحافة الأفريقية لا نجد أي دراسات فى المدرسة الأكاديمية المصرية أو غيرها من مدارس الإعلام فى العالم العربى المتاح لنا التعرف على إنتاجها العلمى. لذلك لا يجد الباحث في الصحافة الأفريقية أمامه سوى التراث الغربى في هذا الموضوع، وبالتحديد الصادر منه باللغة الإنجليزية، نظراً لصعوبة الوصول إلى الصادر منه بلغات أوروبية أخري لأسباب تتصل بعدم إتقان القراءة لهذه اللغات.

ونستعرض فيما يلى الدراسات السابقة المتعلقة بالصحافة الأفريقية عموماً، ثم المتصلة بموضوع البحث، أي الدراسات الخاصة بحرية الصحافة في أفريقيا.

أولاً: الدراسات العربية:

كما ذكرنا فإن المكتبة العربية لا تحوى سوى دراسة واحدة حول الصحافة الأفريقية أعدتها د. عواطف عبد الرحمن وأصدرتها في عام ١٩٨٠ في كتاب بعنوان: "مقدمة في الصحافة الأفريقية"[١]. ويتضمن الكتاب دراستين الأولى تاريخية وصفية مقارنة لأوضاع الصحافة الأفريقية أثناء الفترة الاستعمارية، والثانية دراسة تحليلية للقضايا المهمة التى تواجه الصحافة الأفريقية بعد الحصول على الاستقلال، ومن بينها قضية حرية الصحافة، وعلاقة الصحافة بالسلطة وأنماط الملكية السائدة.

وقد شملت الدراسة الأولى التأريخ لنشأة الصحافة فى أفريقيا الناطقة بالإنجليزية، مع دراسة نشأة وتطور الصحافة في غانا، كدراسة حالة، ونشأة وتطور الصحافة فى أفريقيا الناطقة باللغة الفرنسية، مع دراسة هذه النشأة فى دولة ملجاش كدراسة حالة. أما الدراسة الثانية فقد تناولت بالتأريخ والتحليل والتفسير أوضاع الصحافة الأفريقية فى مرحلة ما بعد الاستقلال، بالتركيز على وظائف الصحافة، والنظرية الإعلامية الأفريقية، وأنماط الملكية وحرية الصحافة.

ونظرا للطبيعة الريادية لهذه الدراسة، بالإضافة إلى مرور فترة طويلة على صدورها (١٧ عاماً)، فإننا نجد بها كثيراً من الأحكام والمقولات التى تحتاج إلى إعادة اختبار فى ضوء التطورات التى شهدتها القارة الأفريقية والصحافة الأفريقية في عقدي الثمانينات والتسعينات من جانب، كما نجد فيها أيضاً كثيراً من العلاقات والفرضيات التي يجب البحث فى صحتها.

ولعل من أهم المقولات التى طرحتها هذه الدراسة وتتعلق بحرية الصحافة فى أفريقيا، وتدخل فى إطار هذا البحث.

---

[١] عواطف عبد الرحمن، **مقدمة فى الصحافة الأفريقية، القاهرة، الجمعية الأفريقية** – سلسلة كتب أفريقية، الكتاب الرابع، ١٩٨٠.

- إن الصحف التى كانت تمثل الطليعة النشطة للحركة الوطنية من أجل الاستقلال أصبحت أقل حرية في ظل الحكومات الوطنية.[١]
- إن الصحافة الأفريقية فى مناطق النفوذ البريطانى السابق كانت أكثر حرية من مثيلتها فى مناطق النفوذ الفرنسى.[٢]
- إن الدول الأفريقية التى تتبع نظام الحزب الواحد أكثر قمعاً للصحافة من الدول التى تتبع نظاماً سياسياً متعدد الأحزاب.[٣]

وكما ذكرنا فان هذه الأحكام تحتاج إلى مراجعة حديثة في ظل التطورات المعاصرة في أفريقيا، كما أن هناك متغيرات أخري ينبغى قياس العلاقة بينها فى مجال حرية الصحافة فى أفريقيا، لعل أهمها متغير نوع النظام السياسى القائم وما إذا كان نظاماً مدنياً أم عسكرياً.

ثانياً: الدراسات الغربية:

تبدى المدرسة الغربية فى الإعلام اهتماماً ملحوظاً بدراسة أوضاع الصحافة الأفريقية، إذا قورنت بالمدرسة العربية والمصرية منها على وجه الخصوص. ورغم الشبهات التي قد تحيط بهذا الاهتمام الغربي بالصحافة الأفريقية، إلا أننا لا يمكن أن ننكر الدور المهم الذي تلعبه الدراسات الغربية فى إمداد الباحثين حتى الأفارقة منهم بالمعلومات الخاصة بنشأة وتطور الصحافة الأفريقية وأوضاعها الراهنة والمشكلات التى تعانى منها وعلاقتها بالحكومات الأفريقية المدنية منها والعسكرية. ومن الواضح أن الباحثين الغربيين دون غيرهم لا زالوا هم القادرون على التجوال في القارة السمراء وإجراء بحوثهم على الإعلام الأفريقى فى أرض الواقع لما يتمتعون به ولما تتمتع به المؤسسات الأكاديمية وغير الأكاديمية التى ينتمون لها أو التى تدعم بحوثهم من إمكانات مادية لا تتوافر لغيرهم من باحثي العالم الثالث.

ورغم هذا الاهتمام الذي يبديه الباحثون الغربيون بأوضاع الصحافة الأفريقية، إلا أنه جهد ضئيل إذا قورن بالاهتمامات العالمية للمدرسة الغربية.

---

(١) المرجع السابق، ص١٥٩.

(٢) المرجع السابق، ص١٥٩.

(٣) المرجع السابق، ص١٥٩.

ويمكن تقسيم التراث الغربى الصادر باللغة الإنجليزية، ويتعلق بالصحافة ووسائل الإعلام الأفريقية، إلى:

١- دراسات قارية، أي تتعلق بالصحافة فى القارة الأفريقية عموماً دون تحديد قضايا معينة ودون تحديد دول بعينها، ويندرج تحت هذا النوع الدراسات التالية:

- مجموعة الدراسات التى تضمنها كتاب هيلن كتشن Helen Kitchen الذي يحمل عنوان "الصحافة فى أفريقيا" والذي يعود تاريخ صدوره إلى العام ١٩٥٦[١]. - كتاب وليام هاشتن William Hachten، وسائل الإعلام فى أفريقيا، الصادر فى عام ١٩٧١[٢]. - كتاب روزالاند انسلى Rosalynde Ainslie، "الصحافة فى أفريقيا: الماضي والحاضر"[٣]. - دراسات فرانك بارتون Erank barton، حول "صحافة أفريقيا: الاضطهاد والمقاومة" والصادرة فى كتاب عام ١٩٧٩.[٤] - دراسة جراهام مايتون Graham Mytton، "الإعلام فى أفريقيا"[٥].

٢- دراسات تركز على حرية الصحافة فى القارة الأفريقية بصفة عامة دون تحديد دولاً بعينها، ومن هذه الدراسات:

- دراسة دينيس ولكوكس Dennis Wilcox، "حرية الصحافة فى أفريقيا السوداء: الفلسفة والتحكم"[٦]. - دراسة ج . ب . ايفرت J. B. Evert، "حرية الصحافة فى أفريقيا، المنشورة فى مجلة الحرية الأفريقية عام ١٩٧٧"[٧]. - دراسة الحاج بابا تندى جوسى Alhaji Babatunde Jose، "حرية الصحافة فى أفريقيا" المنشورة فى مجلة الشؤون الأفريقية فى يوليو ١٩٧٥.[٨]

---

(1) Helen Kitchen (ed.,) **The Press in Africa**. Washington, D.C: Ruth Sloan Associates, 1956.

(2) William Hachten. **Muffled Drums: the news Media in Africa**. Ames: Iowa State University, 1971.

(3) Rosalynde Ainslie. **The Press in Afriea: communications past and Present**. London: Victor Gollancz, 1966.

(4) Frank Barton, **The Press of Africa: persecution and Perseverance**. New York: Macmillan, 1979.

(5) Graham Mytton. ***Mass Communication in Africa***. London: Arnold, 1983.

(6) Dennis L. Wilcox, "**The Press in Black Africa: Philosophies and Control**", Ph.D. dissertation, University of Missouri, 1975.

(7) Evert, J. B. "**Freedom of the Press in Afriea.**" African Freedom Annual (1977).

(8) Jose, Alhaji Babatunde. "Press Freedom in Africa". **African Affairs** (July 1975): 255-262.

٣- دراسات قطرية تركز على بحث تاريخ وقضايا وأوضاع الصحافة ووسائل الإعلام فى بعض الدول الأفريقية، بما فيها قضايا حرية الصحافة، ومن أهم هذه الدراسات المتعلقة "بحالة غانا":

- دراسة جون شيك عن "صحيفة الاشانتى تايمز فى تاريخ الصحافة الغانية"[١]، ودراسة وليم هاشتن "الصحافة الغانية تحت الحكم الوطنى: نموذج سلطوي"[٢]، ودراسة سميث "الصحافة وقيم النخبة فى غانا ١٩٦٢-١٩٧٠"[٣]، ودراسة توماسى "الصحافة والقيادة السياسية فى الدول النامية : حالة غانا ١٩٦٤-١٩٧٨"[٤]، ودراسته الثانية "وسائل الإعلام والدستور الجمهوري الثانى فى غانا"[٥].

ولعل من الإضافات المعرفية المهمة للدراسات السابقة فى الموضوع، ما أضافه ريموند نيكسون Raymond Nixon[٦] في الدراسة الإمبيريقية التى حلل فيها أوضاع حرية الصحافة فى ١١٧ دولة بهدف قياس درجة هذه الحرية. وخلص فيها إلى وجود علاقة ايجابية وارتباطية بين درجة حرية الصحافة فى أي دولة وبين درجة مؤشرات وطنية، هى: مستوى الدخل السنوى للفرد (G.N.P)، ومعدلات الأمية بين البالغين، ومعدل توزيع الصحف اليومية على كل مائة شخص. ووضع نيكسون مقياساً لحرية الصحافة يتكون من عشر درجات، تعنى الدرجة (١) أعلى درجات الحرية بينما تعنى الدرجة (١٠) عدم وجود حرية صحافة. ووفقاً لهذا المقياس وضع نيكسون صحافة الولايات المتحدة الأمريكية في الدرجة (١)، بينما منح "غانا" درجة (٩)، وسبقتها فى درجة حرية الصحافة دول أفريقية أخرى، مثل كينيا (٥ درجات) ونيجيريا (٤ درجات).

---

(1) Chick, John D. "The Ashanti Times: A Footnote to Ghanaian Press History." **African Affairs** (January 1977).

(2) Hachten, William A. "Ghana's Press under the N.R.C: An Authoritarian Model for Africa". **Journalism Quarterly** 52 (Autumn 1975).

(3) Smith, jasper K. "The Press and Elite values in Ghana 1962-1970." Journalism Quarterly 49. (Winter 1972): 679-683.

(4) Twumasi, Yaw. "The Newspaper Press and political Leadership in Developing Nations: The Case of Ghana 1964 to 1978." **Gazette** 26, no. 1 (1980): 1-16.

(5) Twumasi, Yaw. "Media of Mass Communication and the Third Republican Constitution of Ghana". **African Affairs** (January 1981): 13-27.

(6) Raymond B. Nixon, "Freedom in the World's Press: A Fresh Appraisal With New Data", **Journalism Quarterly** 42 (Winter 1965), P. 7.

فى هذا السياق تأتي أيضا دراسة رالف لونشتين Ralph Lowenstien[1] لحرية الصحافة في معظم دول العالم. وقد انتقد لونشتين منهج نيكسون في الدراسة السابقة في قياس حرية الصحافة على أساس أنه لم يستخدم معايير خاصة لكل دولة للحكم على درجة حرية الصحافة بها ولم يضع في اعتباره عوامل مؤثرة أخرى في حرية الصحافة غير التدخل والسيطرة الحكومية، مثل تركيز الملكية والتنظيم الذاتى للصحافة. وقد وضع لونشتين مقياساً لحرية الصحافة أطلق عليه "قابلية وقدرة الصحافة على الاستقلال وتوجيه النقد" Press Independent and Critical Ability. واستخدم ٢١ عاملاً لقياس حرية الصحافة في كل نظام صحفى من بينها القيود القانونية والقيود غير القانونية والتنظيم الذاتي والمنافسة. وخلص إلى وضع صحافة الولايات المتحدة في أعلى درجات الحرية، بينما وضع غانا مع دول أفريقية أخرى تحت تصنيف (انتقالى) في إشارة الى عدم ثبات أوضاع حرية الصحافة بها.

أهداف البحث :

يهدف البحث إلى وصف وتحليل وتفسير أوضاع حرية الصحافة في أفريقيا جنوب الصحراء في فترة ما بعد الاستقلال وذلك من خلال رصد العلاقات المتبادلة بين الحكومات الوطنية وبين الصحافة كما تبرزها الدساتير والقوانين الخاصة بالصحافة التي وضعتها الحكومات الوطنية، وكما يبرزها الواقع الفعلي، أي الممارسات العملية، وذلك من خلال دراسة دولة ممثلة هي غانا.

وفى ضوء ذلك يهدف البحث إلى اختبار عدد من الفرضيات المتعلقة بالمقارنة بين حرية الصحافة فى العهد الاستعماري وحرية الصحافة فى عهد الحكم الوطنى، والمقارنة بين حرية الصحافة فى ظل الحكومات المدنية وحرية الصحافة في ظل الحكومات العسكرية. وتتمثل هذه الفرضيات – التى استقيناها من قراءة متعمقة لتاريخ وتطور الصحافة الأفريقية والدراسات السابقة السابق الإشارة إليها – في فرضيتن اساسيتين، هما:

١- هناك علاقة ايجابية بين الحكم الوطنى وبين حرية الصحافة. على أساس أنه من المأمول أن يقود حصول الدول الأفريقية على استقلالها إلى ازدهار حرية

[1] Ralph L. Lowenstien, **"PICA": Measuring World Press Freedom,"** Freedom of Information Center Publication 166 (August 1966):2.

الصحافة في إطار ازدهار الحريات العامة للمواطنين بعد انتهاء العهد الاستعماري وخروج المستعمرين وتولى أبناء هذه البلاد حكم أنفسهم.

٢- أن هناك علاقة بين نوع الحكم الذى شهدته الدول الأفريقية وبين درجة حرية الصحافة. هذه العلاقة ايجابية بين الحكم المدنى وازدهار حرية الصحافة، وسلبية بين الحكم العسكري وبين ازدهار حرية الصحافة. وذلك على افتراض أن الحكم المدنى إنما يأتى نتيجة اختيار حر للمواطنين ولا يضمن استمراره إلا استمرار رضا الناخبين، وبالتالى يجب أن يتجه إلى الحفاظ على الحريات العامة ودعم حرية الصحافة، والعكس هو المفترض فى حالة الحكم العسكرى، الذى قد يوحى مجرد إسمه بالقمع.

مجال البحث :

أ - المجال الموضوعى: يتمثل المجال الموضوعي للبحث في قضايا حرية الصحافة بصفة أساسية في إطاريها التاريخي والمعاصر، وبأبعادها المختلفة التي تتضمن: وضعية الصحافة في دساتير ما بعد الاستقلال، والنصوص القانونية المتعلقة بالصحافة سواء كانت قوانين خاصة بالصحافة (قوانين مطبوعات) أو نصوص داخل القوانين العامة، والعلاقة بين السلطة الحاكمة وبين الصحافة (التطبيق الفعلى) فى فترات الحكم المدني وفى فترات الحكم العسكري، ومدى اختلاف حرية الصحافة فى فترة ما بعد الاستقلال عنها فى فترة ما قبل الاستقلال.

ب- المجال المكانى (التطبيقى): تضم أفريقيا أنظمة سياسية متنوعة ومختلفة، لذلك فإنه من الصعب تناول حرية الصحافة فى القارة بأكملها، ولذلك يتحدد المجال التطبيقى للدراسة فى دولة غانا كحالة ممثلة. وقد اختيرت هذه الدولة لتكون مجالاً للدراسة لأكثر من سبب:

١- أنها تمثل شكلاً من أشكال التطور الصحفى فى أفريقيا السوداء. إذ كانت غانا من أوائل الدول الأفريقية التى عرفت الصحافة، ويعود صدور أول صحيفة بها وهى رويال جولد كوست جازيت إلى عام ١٨٢٢، ولم يسبقها فى ذلك من دول جنوب الصحراء سوى سيراليون.

٢- إن هذه الدولة تقدم نموذج لنظام سياسى وإعلامى متميز في القارة الأفريقية، على أساس أن الصحافة لعبت دوراً كبيراً في الحركة الوطنية التى قادت استقلال البلاد والتى تزعمها الصحفى كوامى نكروما الذى تحول إلى زعيم سياسى وحكم البلاد بعد الاستقلال، وكان يصدر بها فى الفترة الاستعمارية نحو ٧٠ صحيفة. وبعد الاستقلال وضعت غانا نموذج لعلاقة الحكومة بالصحافة قلدته غالبية الدول الأفريقية، يقوم على امتلاك الحكومة كل وسائل التعبير فى المجتمع بما فيها الصحف. فقد كانت غانا - باعتبارها أول دولة أفريقية جنوب الصحراء تحصل على استقلالها (١٩٥٧) هى النموذج العملى السياسى والصحفى الذى احتذت به الدول الأفريقية بعد الاستقلال. وكان رئيسها الوطنى الأول نكروما أول رئيس أفريقى يضع الصحافة تحت إشرافه المباشر وأول من أنشأ وكالة أنباء وطنية، وأصدر أول صحيفة حكومية، كما كان أول من أغلق الصحف المعارضة له، وأول من سجن الصحفيين المعارضين فى أفريقيا جنوب الصحراء بعد رحيل المستعمر الأوروبى.

٣- إن نظام الصحافة فى غانا باعتبارها مستعمرة بريطانية سابقة: يعد أكثر النظم الصحفية تطوراً فى القارة الأفريقية، استناداً إلى تاريخ الصحافة الطويل بها.

منهج البحث :

فى ضوء الهدف الأساسى للبحث، تم الاعتماد على المنهج التاريخى فى دراسة حرية الصحافة فى الدول الثلاث، بالاعتماد على المصادر الثانوية التى تتمثل فى الكتب والبحوث المنشورة عن الصحافة الأفريقية عموما وعن حرية الصحافة فى أفريقيا على وجه الخصوص. وقد لجأنا إلى المصادر الثانوية لتعذر الوصول إلى المصادر الأولية (الوثائق التاريخية) من جانب ، ودرجة التوثيق العالية التى حظيت بها المصادر الثانوية من جانب آخر. وقد تم استخدام المنهج التاريخى بأدواته التحليلية (التحليل التاريخى). كما تم استخدام المنهج المقارن للمقارنة على مستوى زمني بين فترتى ما قبل الاستقلال وما بعد الاستقلال وفترتى الحكم العسكري والحكم المدنى.

محتويات البحث :

بالإضافة إلى المقدمة المنهجية السابقة، يتكون البحث من مبحثين، يعالج **المبحث الأول** ظروف نشأة الصحافة الأفريقية (مع التركيز على الصحافة الغانية)، وحريتها قبل الاستقلال. ويركز **المبحث الثاني** على أوضاع حرية الصحافة فى غانا بعد الاستقلال. بالإضافة إلى الخاتمة التى تشمل اختبار الفروض، وتفسير النتائج، وخاتمة.

المبحث الأول

الصحافة في أفريقيا جنوب الصحراء

تعد القارة الأفريقية ثانى قارات العالم من حيث المساحة وبها ما يقرب من ٦٥٠ مليون نسمة. وتمتلك أفريقيا رصيداً ضخماً من المصادر الطبيعية وبها أخصب الأراضى القابلة للزراعة فى العالم. ويسكن أفريقيا عدد ضخم من المجموعات القبلية وبها نحو ٨٠٠ لغة. ومع ذلك فإن أفريقيا جنوب الصحراء تعد واحدة من أقل مناطق العالم نمواً اقتصادياً وتكنولوجياً، وتبلغ نسبة الأمية بها نحو ٨٠%، كما أنها من أقل مناطق العالم تعرضاً واستهلاكاً لوسائل الإعلام.

في مؤتمر برلين فى ١٨٨٥ دشنت القوى الاستعمارية الأوربية سيطرتها على أفريقيا، التي تعود إلى قبل ذلك بقرون، ورسمت الحدود لتقسيم القارة فيما بينها. ومن أجل الحصول على أقصى استفادة قدم الأوربيون محاصيل جديدة للزراعة مثل البن، وجوز الهند، والموز، والبرتقال، والقطن، والفانيليا لخدمة السوق الأوربية. وقد أدى تزايد اعتماد أفريقيا على تصدير حاصلاتها بالإضافة إلى السياسية الأوربية في توحيد محاصيل القارة، إلى تزايد اعتماد دول القارة الأفريقية الواسع على الأسواق الأوربية، كما أدى اعتماد دول القارة على تصدير نفس المحاصيل تقريباً إلى تدهور أسعار هذه المحاصيل وبالتالى تدهور الاقتصاد الأفريقى. وفي ظل الحاجة إلى نقل منتجات القارة إلى أوروبا والولايات المتحدة، كان المستعمرون فى حاجة شديدة إلى مواصلات واتصالات ملائمة، فبدءوا في بناء الطرق والسكك الحديدية وأنظمة الاتصالات. وقد كانت هذه البنية الأساسية موجهة في الأساس لخدمة الأوربيين ومتجهة نحو السواحل فقط والعواصم الأوربية وليس إلى الطرق التقليدية القديمة.

إلى جانب الطرق وشبكة الاتصالات أصدر الأوربيون الصحف. فالصحافة الأفريقية ظهرت في ظل الاستعمار الأوربي وظل تطورها في القرنين التاليين مرتبطاً بشدة بالصحافة في أوروبا وأمريكا الشمالية. فقد كان للقوى الاستعمارية تأثير كبير على الصحافة في أفريقيا. وقد تمثل هذا التأثير في تقديم مفهوم سلطوي للصحافة وتقييد نمو الصحافة المحلية. كما ساهم هذا التأثير في زيادة حدة الصراع الذي ميز نشأة الصحافة الأفريقية.[1]

---

[1] Dennis L. Wilcox, "**The Press in Black Africa: Philosophies and Control**," Ph.D. dissertation, University of Missouri, 1975, P. 342.

كان أول ظهور للصحافة الأفريقية في إقليم غرب أفريقيا الذى يضم غانا الذى كان خاضعا للاستعمار البريطاني. ويتفق معظم الباحثين الذين درسوا الصحافة الأفريقية على أن السبب الرئيسي للنشأة المبكرة والاستقلالية التي تمتعت بها الصحافة فى المستعمرات البريطانية في غرب أفريقيا هو أن المستعمرين لم يستوطنوا إطلاقاً في هذه المنطقة. فقد كانت الصحف التى أصدرتها بريطانيا في غرب أفريقية صحفاً رسمية فقط في الوقت الذي كان فيه سوق القراءة صغيراً جداً ولا يسمح بتحقيق أية أرباح.[1] كما كان المستوطنون أكثر اهتماماً بتأسيس دعائم التجارة وتحقيق أرباح أكثر من اهتمامهم بالمشاركة السياسية أو تأسيس منازل لأنفسهم في المنطقة. وإلى حد ما ينظر للبريطانيين على أنهم كان لديهم أفكاراً تحررية بالنسبة للصحافة. ولذلك كانوا غالباً ما يسمحون بانتقاد الصحف الأفريقية في الساحل الغربي للسياسات الاستعمارية دون تدخل من جانبهم. على النقيض من ذلك، فإنه في شرق أفريقيا حيث كان يعيش المستوطنون مع الأفريقيين جنباً إلى جنب، كان الموقف مختلفاً.

فقد اختلفت جوهرياً طبيعة الأنظمة الاستعمارية باختلاف القوي الاستعمارية الغربية. فقد اتبع البريطانيون نظاماً واقعياً يقوم على حكم المستعمرات حكماً غير مباشر من خلال المؤسسات الأفريقية القائمة، وهو نظام لم يكن نابعاً من أيديولوجية خاصة بقدر ما كان ملائماً لعدم استطاعة بريطانيا توفير العدد اللازم من الإداريين لإدارة كل هذه المستعمرات. على الجانب الآخر، كان الحكم الفرنسي في أفريقيا مرتبطاً بشدة بالتقاليد التنظيمية المحلية في فرنسا. وكان الهدف الرئيسي من الاستعمار – من وجهة نظر الفرنسيين – هو إدماج المستعمرات في فرنسا ولذلك كان الأفريقي من حقه أن يُمنح الجنسية الفرنسية فى حالة تحصيله قدر معين من الحضارة الفرنسية.[2] وكما ذكرنا، لم تكن هناك مساهمات فرنسية تذكر في تطوير صحافة أفريقية في المستعمرات الفرنسية. فقد كانت فلسفة الفرنسيين تستهدف في الأساس خلق نخبة وطنية ناطقة بالفرنسية ومرتبطة بالثقافة الفرنسية. وكان من الطبيعي أن ينحصر جمهور الصحافة والصحفيين داخل هذه النخبة. وقد ساهمت الصحافة الأوربية في أفريقيا الفرنسية في عمليات الاستيعاب هذه.[3]

---

(1) Frank Barton, **The Press of Africa: Persecution and Perseverance** (New York: Macmillan, 1979), P.16.

(2) Ibid., P. 43.

(3) William A. Hachten, **Muffled Drums: The News Media in Africa** (Ames: Iowa State University Press, 1971), PP. 182-183.

وتستمد الصحافة المعاصرة في أفريقيا السوداء الناطقة بالإنجليزية جذورها التاريخية من أربعة أنواع مختلفة من الصحف، هى: الصحف الحكومية الرسمية؟ وصحف البعثات التبشيرية؛ والصحف المملوكة ملكية خاصة؛ والصحف السرية المعادية للاستعمار. وقد كانت الصحف الرسمية هي أسبق هذه الأنواع الأربعة فى الظهور، وكما يقول دينيس ولكوكس فإن أصل نشأة الصحافة الأفريقية تعود إلى المطبوعات الرسمية للحكومات الاستعمارية.[1] على هذا الأساس فإن الصحافة في أفريقيا بدأت بالصحف التى امتلكها وأدارها مسئولون بالحكومات البريطانية في المستعمرات، والتى كانت تهدف نظرياً إلى محو أمية الشعوب وتشجيع التنمية المحلية. أما الهدف الرئيس لهذه المطبوعات فقد كان إخماد الروح الوطنية بالإضافة إلى تزويد رجال الأعمال والمال ورجال الإدارة الأوربيين بالأخبار والمعلومات، وبالتالى كانت الصحافة عرقية فى المفهوم والمحتوى. وقد كان هذا أمراً طبيعياً فى ضوء حقيقة أن الغالبية العظمى من السكان المتعلمين كانوا من الأوربيين. وعلى الرغم من أن الأفريقيين لم يكونوا هم الجمهور المستهدف لدى هذه الصحافة، فإن واقع الحال لم يمنع من أن تعمل هذه الصحافة على دعم وتأكيد ولائهم للنظام الاستعماري.[2]

كانت أول صحيفة معروفة تصدر فى أفريقيا السوداء هى صحيفة "رويال جازيت آند سيراليوني ادفرتيزر" Royal Gazette and Sierra Leone Adertiser التى صدرت فى فبراير عام ١٨٠١ واستمرت فى الصدور لمدة عام. وفى عام ١٨٢٢ صدرت فى أكرا عاصمة ما كان يعرف فى ذلك الوقت بـ "ساحل الذهب" وحالياً "غانا"، صحيفة شبه رسمية مكتوبة بخط اليد هى "رويال جولد كوست جازيت" Royal Gold Coast Gazette. ولم تعمر معظم الصحف الاستعمارية الرسمية طويلاً واستمرت فى أحسن الأحوال لسنوات قليلة. وبالإضافة إلى هذه المطبوعات المبكرة التى امتلكتها وأدارتها الحكومات، ظهرت بعض الصحف التى يمتلكها أوربيون ويديرونها باستقلال تام عن السلطات الحكومية. ففى نيجيريا صدرت أول صحيفة بواسطة إحدى البعثات التبشيرية، وكانت صحيفة نصف أسبوعية أسسها ريفرايند هنرى تونسند فى عام

[1] Wilcox, "The Press in Black Africa", P. 30.
[2] Ibid., P. 34.

١٨٥٩ وأطلق عليها إسم "ايو أوهرين" Iwe Ihorin. وفـــى الواقـــع فـــإن الـــصحافة التبشيرية فى غرب أفريقيا تندرج ضمن مفهوم الصحافة الأفريقية المستقلة التى كانت تستهدف الجمهور الأفريقى.[١]

وكانت صحيفة أكرا هيرالد Accra Herald التى تأخر صدورها إلى العام ١٨٥٧ هى أول صحيفة تصدر عن أشخاص وليس عن الحكومة فى ساحل الذهب (غانـــا) – وقد صدرت بعد أكثر من ٣٠ عاماً من صدور أول صحيفة رسمية وهى رويال جولد كوست جازيت – وكانت مكتوبة أيضاً بخط اليد. وبعد عامين انتقلت الـــصحيفة إلـــى مدينة كاب كوست وسميت بإسم جديد هو وست أفريكان هيرالد West African Herald وكان عدد المشتركين فيها نحو ٣٠٠ شخصاً.

والواقع أن فكرة الصحافة وإصدار الصحف بدأت فى الانتشار – ببطء في البداية – ولكن على المدى الطويل كان انتشاراً سريعاً، كما وصفه فرانك بارتون "بأنه كـــان مكر الشرارة التي اشتعلت فجأة ولم يكن من الممكن التحكم فيها، على امتداد الـــساحل الغربى لأفريقيا[٢]. وفى ساحل لمذهب (غانا) بصفة خاصة كانت الصحافة قوية وظلت لسنوات طويلة صحافة أفريقية خالصة يملكها الأفارقة ويديرونها.

ومن أبرز الصحف الأفريقية التى ظهرت في فترة مبكرة، صحيفة أنجلو افريكان Anglo-African التى صدرت فى لاجوس بنيجيريا فى عام ١٨٦٣ بمضمون مـــشابه للصحف البريطانية التي كانت تصدر في لندن في ذلك الوقت. وقـــد اســـتمرت هـــذه الصحيفة في الصدور لمدة ثلاث سنوات فقط، وتبعتها مجموعة من الصحف صدرت على غرارها ومتشبهة بها في الشكل والمضمون تستهدف الأقلية الأوربية المتعلمـــة. وكانت هذه الصحف يصدرها فى الغالب أفراد، وكانت مختلفة تماماً عـــن النـــشرات المعارضة المعاصرة لها والتى شكلت القاسم الأعظم من تقاليد الـــصحافة الأفريقيـــة الحديثة. لقد كان هذا النوع من الصحف قائم على أساس تلبية حاجة النخبة لأن يكون لها صوت في الشؤون العامة ورغم أنها كانت صحفاً سياسيةً في الأســـاس إلا أنهـــا تضمنت مواداً للتسلية. ومن أبرز الأمثلة على هذا النوع صحيفة أفريكان انتربرتير في سيراليون التي تضمنت مواد مترجمة من صحافة لندن بالإضافة إلى ركـــن للـــشعر،

---

[1] Hachten, **Muffled Drums**, p.145.
[2] Batron, **The Press of Africa**, p. 15.

والنقد السياسى. وفى ساحل الذهب كان النقد السياسى هو الوظيفة الأكثر أهمية بالنسبة للصحافة[١].

وقد ظهرت الصحف التي يصدرها أفريقيون وتتوجه إلى الأفريقيين لأول مرة في المستعمرات البريطانية فى غرب أفريقيا، في سيراليون، وساحل الذهب (غانا)، ثم في نيجيريا بعد ذلك. وكان هدف هذه الصحف سياسياً بصفة أساسية حيث عملت هذه الصحف كأداة للتنمية السياسية والتأثير السياسى. وقد كان لهذه النشأة تأثير ممتد على تطور الصحافة فى غرب أفريقيا. وقد حملت الصحافة الناطقة باللغة الإنجليزية في غرب أفريقيا انتقادات للسلطات الاستعمارية وأصبحت فيما بعد أحد الأدوات المهمة التى استخدمتها الحركات الوطنية في نضالها من أجل الاستقلال.[٢]

ولعل مما يميز نشأة الصحافة في غرب أفريقيا أنها كانت من البداية أفريقية الهوية والملكية. فباستثناء الصحف الرسمية التى أصدرتها السلطات الاستعمارية وبعض الصحف الصغيرة التى أصدرها المبشرون، كانت غالبية الصحف التي صدرت فى فترة النشأة يمتلكها أفارقة من سكان البلاد الأصليين. ويرجع هذا إلى أن المجتمع الأوربي الاستعماري فى دول غرب أفريقيا كان صغيراً جداً واقتصر اهتمامه كما قلنا من قبل على أمور التجارة، وبالتالى لم تكن هناك سوق قراء تسمح بانتشار الصحافة الاستعمارية.[٣]

وقد تأثرت نشأة الصحافة الأفريقية في دول غرب أفريقيا بعودة العبيد المحررين من الولايات المتحدة إلى ليبيريا وسيراليون . فقد كان من بين العائدين تشارلز فورس Charles Force الذي عاد إلى مونوروفيا في عام ١٨٢٦ حاملاً معه آلة طباعة يدوية، مكنته من إصدار صحيفة شهرية فى أربع صفحات، هي "ليبيريا هيرالد Liberia Herald ولكنها أغلقت بعد شهور قليلة لوفاته، ثم أعاد أفريقي آخر عائد من الولايات المتحدة إصدارها مرة أخرى. وقد حملت هذه الصحيفة دعوة المساواة بين الأفارقة

(1) Rosalynde Ainslie, **The Press in Africa: Communications Past and Present** (London: Victor Gollancz, 1966), p.23.

(2) Hachten, **Muffled Drums**, P.143.

(3) Ainslie, **The Press in Africa**, p. 21.

وبين الأوروبيين، وحاربت تجارة الرقيق وقدمت الأفارقة كعنصر مساو تماماً للأوروبيين.[١]

وبحلول منتصف القرن التاسع عشر كانت الصحافة قد انتشرت فى الدول الواقعة على طول الساحل الأفريقى الغربى. والجديد الذي حمله العقد الثامن من هذا القرن هو أن الصحافة فى هذه البلدان قد بدأت نوعاً من التعاون المشترك بإعادة نشر ما تنشره الصحف الأفريقية الأخرى. وقد بدأت هذه الخدمة الجديدة صحيفة لاجوس تايمز Lagos Times بإعادة نشر ما تنشره صحف سيراليون وساحل الذهب (غانا). إذ شعرت الصحافة الأفريقية بالهوية المشتركة سواء بين الصحف أو بين القراء، الأمر الذي مهد لظهور الصحافة الشعبية فيما بعد.[٢]

وقد صدر فى نيجيريا فى نهاية القرن التاسع عشر عدد كبير من الصحف كان من أهمها صحيفة لاجوس ويكي ريكورد Lagos Weekly Record التى نطقت باسم الحركة الوطنية وحررها الصحفى البارز جون باين جاكسون John Payne Jackson الذي يعد أول صحفى أفريقى محترف، أى أول صحفى مثلت الصحافة المهنة الأساسية له. وقد اكتسب جاكسون شهرته من كتاباته الوطنية وهجومه الدائم والشديد على العنصر الأوروبي الأبيض فى أفريقيا.[٣]

أما فى غانا (ساحل الذهب فى ذلك الوقت) فقد كان من أبرز الصحف المبكرة صحيفة "جولد كوست أبورجينز" Gold Cost Aborigines التى نطقت بلسان أول جماعة سياسية فى غانا، وهى منظمة حماية الحقوق The Protection Society، ورغم الصعوبات الاقتصادية الشديدة التى عانت منها الصحف الغانية الوليدة وأدت إلى زيادة معدلات إغلاقها، فإن فترة العقد التاسع من القرن التاسع عشر (١٨٩٠) كانت من أزهى فترات الصحافة الغانية. فقد حفلت الصحف الغانية بالمقالات السياسية التى تهاجم بعنف حكومة الاحتلال، كما تضمنت تغطية خبرية جيدة لأخبار غانا ومستعمرات غرب أفريقيا[٤]. وبحلول القرن العشرين كان هناك حسب تقدير هاشتن،

---

(1) Barton, **The Press of Africa**, p.17.

(2) Ainslie, **The Press in Africa**, pp. 25-26.

(3) Ibid., pp. 28-30.

(4) Ainslie, **The Press in Africa**, pp. 23-25.

ثلاثة وستون صحيفة تصدر فى غرب أفريقيا البريطانية، منها أربعة وثلاثين صحيفة فى سيراليون، وتسعة عشر صحيفة في غانا، وتسعة صحف في نيجيريا، وصحيفة واحدة فى جامبيا. وتبدو هذه الأرقام جيدة إذا علمنا أن الصحافة الوطنية لم تكن قد ظهرت بعد فى بقية مناطق أفريقيا السوداء باستثناء جنوب أفريقيا.[1]

وقد كانت غالبية الصحف التى ظهرت فى غرب أفريقيا مملوكة إما لأفارقة من سكان البلاد الأصليين، أو للجماعات التبشيرية، وهو أمر لم يكن متاحاً للأفريقيين فى مناطق أفريقيا الأخرى، ولم تتغير الطبيعة الأفريقية للصحافة فى غرب أفريقيا، حتى بعد دخول المؤسسات الصحفية الغربية الكبرى مجال إصدار الصحف فى غرب أفريقيا، مثل مجموعة الديلى ميرور البريطانية Britain's Daily Mirror Group، ومجموعة راي تومسون الكندية Canada's Roy Thomson، إذ استمرت الصحف تعبر فى الأساس عن الأفريقيين وتمثل الصوت المناهض للاحتلال، وظلت هى الأساس في الحركات الوطنية فى غرب أفريقيا في الخمسينات والستينات من هذا القرن.

وفي بداية القرن العشرين أقامت بريطانيا الحدود السياسية بين الدول الأفريقية. وقد قامت الصحافة الأفريقية الوطنية بدور بارز فى المعارضة الشعبية لهذا الإجراء الاستعماري، التى تجلت فى المظاهرات العنيفة التى اجتاحت لاجوس وساحل الذهب (غانا). وكانت هذه الأحداث وراء تحول الصحفيين في المستعمرات البريطانية في غرب أفريقيا إلى قادة سياسيين.[2]

وقد صدرت أول صحيفة يومية ناجحة فى غرب أفريقيا فى نيجيريا عام ١٩٢٥، وهى صحيفة لاجوس ميلي نيوز Lagos daily News، وأصدرها هربرت ماكيلى. وكانت هذه الصحيفة أيضا أول صحيفة تنتمى إلى حزب سياسى وهو الحزب الوطنى الديمقراطى National Democratic Party، الذى أسسه صاحب الصحيفة. وقد كان لهذه الصحيفة دوراً بارزاً فى تطور الحركة الوطنية النيجيرية، وأثرت بما كانت تنشره من موضوعات مناهضة للاحتلال قلق السلطات الاستعمارية وعملائها من التجار والمحافظين. ولمقاومة هذه الصحيفة لجأ مجموعة من رجال الأعمال البيض إلى

(1) Hachten, **Muffled Drums**, p. 145.

(2) Barton, **The Press of Africa**, p. 19.

إصدار صحيفة منافسة لها، من خلال الغرفة التجارية بلاجوس، هى صحيفة ديلى تايمز Daily Times، التى أصبحت فيما بعد أكثر الصحف أهمية وقوة في غرب أفريقيا، بما توافر لها من إمكانات اقتصادية وفنية كانت خارج قدرات الصحف الوطنية[1].

وقد دخلت صناعة الصحافة فى غرب أفريقيا- والتى كانت تعتمد على المبادرات الفردية – فى عام ١٩٣٤ عهداً جديداً بظهور نامدى ازيكوي Nnamdi Azikiwe، أحد قادة الحركة الوطنية الأفريقية، وكان أزيكوى قد تلقى تعليمه فى الولايات المتحدة وشهد هزيمة سياسة التفرقة العنصرية في ولايات الجنوب في العشرينات، وتزايد الوعى السياسى للأمريكيين السود، والمظاهرات العنصرية. وقد أمن أزيكوى بقدرة الصحافة في الحركة التحررية الأفريقية، فأصدر بالاشتراك مع صحفى سيراليونى صحيفة أفريكان مورننج بوست African Morning Post في عام ١٩٣٤، ثم انتقل إلى نيجيريا ليصدر صحيفة ويست أفريكان بيلوت West African Pilot[2].

وفى الفترة التى سبقت قيام الحرب العالمية الثانية بدأ معظم القادة السياسيين الأفارقة حياتهم السياسية بالعمل فى الصحافة كمحررين وناشرين لنشرات إخبارية وطنية، وكان من بين هؤلاء كوامى نكروما أول رئيس لغانا، وجومو كنياتا، أول رئيس لكينيا، وجوليوس نيريري، قائد الاستقلال فى تنزانيا، وجوزيف موبدبوتو فى زائير.

حرية الصحافة قبل الاستقلال :

الواقع أن هناك وجهتين نظر أساسيتين ومتعارضتين فيما يتعلق بدرجة الحرية التى تمتعت بها الصحافة الوطنية الأفريقية قبل الاستقلال. فعلى حين يري هاشتن[3] أن التقاليد البريطانية في حرية الصحافة امتدت إلى مستعمرات بريطانيا فى غرب أفريقيا، فتمتعت الصحافة فى هذه المنطقة بدرجة كبيرة من حريتها. ورغم أن الصحف الأفريقية كانت تواجه من وقت إلى آخر اضطهادات وقمع، إلا أن السلطات

---

(1) Hachten, **Muffled Drums**, p.146.

(2) Barton, **The Press of Africa**, pp. 21-22.

(3) Hachten, **Muffled Drums**. pp. 148-149.

البريطانية كانت أكثر تحملاً وسمحت بدرجة من حرية الصحافة لم تتمتع بها الصحافة فى أي منطقة أفريقية أخرى في ذلك الوقت.

في المقابل فإن ويلكوكس يري أن السلطات البريطانية نفضت يدها مما يتعلق بحرية الصحافة ولم تتدخل مباشرة للحد من حرية الصحافة فى غرب أفريقيا، ولكنها استعملت الإدارات المحلية فى الحد من حرية الصحافة، حيث تركت القرارات المتعلقة بحرية الصحافة فى يد هذه الإدارات العميلة لها. ولهذا يري ويلكوكس أنه من الخطأ أن نتصور أن الصحافة الأفريقية فى غرب أفريقيا قد تمتعت تحت الاحتلال البريطاني بأية درجة من الحرية لسبب بسيط وهو أن الحكومة البريطانية لم تضع رسمياً أية ضمانات أو مبادئ لحرية الصحافة فى مستعمراتها.[1]

وكانت السلطات الاستعمارية تلاحق الصحف بالمحاكمة والمصادرة بموجب قوانين السب والقذف، وإصدار قوانين الصحافة المقيدة لحرية الصحافة والمماثلة لقوانين الصحافة فى بريطانيا في القرن الثامن عشر[2]. وقد دفع وجود مثل هذه القوانين، بالإضافة إلى وجود الصحف المعبرة عن الأوروبيين العديد من الأفارقة إلى إصدار صحف تعبر عنهم وتنطق بلسانهم وتعكس آرائهم وطموحاتهم في الاستقلال[3]. ورغم هذه القيود فان الصحفيين الأفارقة – خاصة في الدول الخاضعة للاستعمار البريطانى – تمتعوا إلى حد ما بدرجة من الحرية مكنتهم من معارضة السلطات الاستعمارية والمطالبة بالاستقلال بل والمساهمة مع الحركات الوطنية في إنهاء الاحتلال الأوروبى.

وفي عشية الاستقلال وانتقال الحكم إلى الأغلبية الأفريقية التى تستند على التأييد الشعبي الجارف، كان من المتوقع أن تزدهر حرية الصحافة الأفريقية وتتسع قاعدة ملكية الصحف وعددها، خاصة مع نمو برامج محو الأمية ونشر التعليم التى أعلنتها الحكومات الوطنية، بالإضافة إلى ما ولده الاستقلال من حاجة شعبية إلى الأخبار عن الشئون العامة بين الأفارقة خاصة فى المناطق الحضرية. ولكن هذه التوقعات لم

---

(1) Wilcox, **The Press in Black Africa**. pp. 38-40.

(2) Ibid, p. 40.

(3) Ibid, p.45.

تحدث، بل على العكس كان عقد الستينات (عقد الاستقلال) أحرج فترات حرية الصحافة الأفريقية. فقد ظل عدد الصحف محدوداً بل وأقل مما كان عليه تحت الحكم الاستعماري نتيجة إغلاق الصحف واحتكار الحكومات إصدار تراخيص الصحف الجديدة، كما ظل توزيع الصحف محدوداً وعائداتها من الإعلان محدودة للغاية، كما ظلت قاعدة القراء كما هى بسبب استمرار معدلات الأمية على ما كانت عليه والفقر.

إن الذى تغير بعد الاستقلال – حسبما يقرر وليم هاشتن –[1] هو نمط ملكية الصحف والسيطرة على السوق الصحفى. فقد اتجهت الحكومات الجديدة إلى احتكار ملكية وسائل الإعلام المطبوعة والمسموعة، ووضعت بذلك حجر الأساس لنمط لا زال قائماً ويميز الصحافة الأفريقية حتى اليوم.

وقد ظل التدخل الحكومى فى شئون الصحافة بعد الاستقلال واضحا فى أكثر من اتجاه، مثل: انخفاض عدد الصحف المستقلة، وظهور عدد كبير من الصحف الحكومية، وتزايد نفوذ وزارات وإدارات الإعلام، وتأميم الخدمات الإذاعية والتليفزيونية، وإنشاء وكالات الأنباء الحكومية للتحكم في تدفق الأخبار والمعلومات من وإلى الدول الجديدة. وقد انتقل هذا النمط من دولة إلى أخرى، وتعرضت جميع الصحف التى كانت تصدر قبل الاستقلال إما إلى احتواء النظم الجديدة لها بالشراء أو التهديد وإما إلى الإغلاق، ولم تستثن من ذلك الصحف التى ساندت حركات التحرر، بعد أن أظهرت الحكومات عدم تحملها حرية الصحافة. وقد عبر أحد الصحفيين الأفارقة عن بقاء أوضاع حرية الصحافة كما كانت عليه قبل الاستقلال وربما تحولها إلى الأسوأ، بقوله "إن شيئا لم يتغير عما كان يحدث أيام الاستعمار، فقط تغير اللاعبون ولكن المباراة ظلت كما هى، فبدلاً من الحاكم الاستعماري أصبح لدينا رئيس جمهورية أو جنرال.. وتم الاستيلاء على الصحف، والصحف التى رفضت الانضمام إلى ماكينة الدعاية الحكومية تم إغلاقها.[2]

---

(1) Hachten, **Growth of Media**, Ibid, p. 22.

(2) Hilary Ng'weno, **"The Third World Dilemma: Can a State Press Be Free?"**, The Weekly Review (Nairobi), 22 June 1979.

المبحث الثاني

حرية الصحافة فى غانا

كانت غانا (ساحل الذهب سابقاً) أول مستعمرة أفريقية تحصل على استقلالها من بريطانيا. ومنذ استقلالها تلعب غانا دوراً بارزاً فى الشئون الأفريقية، وقدمت نموذجاً خاص بها فى مجال الإعلام فى القارة الأفريقية.

لقد كانت الصحافة الغانية قبل الاستقلال مملوكة بالكامل تقريباً للأفريقيين، وتعمل في خمسة أهداف الحركة الوطنية للتحرر. كما كانت الصحافة الغانية صحافة سياسية فى المقام الأول تعبر عن الاتجاهات الوطنية المعارضة للاحتلال، وساهمت بقدر كبير فى ظهور وتطور الحركة الوطنية بل وقامت على أكتافها الأحزاب السياسية. ونجحت الصحافة الغانية قبل الاستقلال فى الوصول إلى المناطق الريفية ولم تقتصر فى توزيعها على المناطق الحضرية فقط. وكانت الصحف الغانية مرتبطة بشدة بالأحزاب السياسية الوطنية، وقامت السياسة التحريرية على أساس التركيز على القضايا السياسية كوسيلة لزيادة توزيع الصحف.[1]

وقد واجهت الصحافة الغانية الوطنية قبل الاستقلال كثيراً من حالات العصف بحريتها من جانب السلطات الاستعمارية المحلية، وتتمثل أبرز نماذج ذلك، فى مصادرة الصحف وحظر إصدارها والقبض على الصحفيين. فعندما أصدر نكروما صحيفة إيفيننج نيوز Evening News في عام ١٩٤٨ التى انبثق منها حزب مؤتمر الشعب (CPP)، لم تتحمل السلطات الاستعمارية ما كانت تروج له الصحيفة من أفكار وطنية تحررية فقامت بحظر صدورها وألقت القبض على محرريها.[2]

وعندما حصلت غانا على استقلالها وكانت أول دولة في أفريقيا السوداء تتركها الإمبراطورية البريطانية فى ٦ مارس ١٩٥٧، كان قائد حركة الاستقلال هو كوامي نكروما نفسه صاحب صحيفة إيفيننج نيوز وصحيفتين أخريين كان قد أصدرهما عندما

---

(1) Kitchen "**The Press in Africa**", p. 73.

(2) Wilcox, "**The Press in Black Africa**" p. 43.

عطلت السلطات الاستعمارية الصحيفة الأولى. وقد صدر الدستور الغاني في عام ١٩٦٠ ليعلن قيام الجمهورية في غانا وأصبح الصحفي والزعيم السياسي كوامي نكروما رئيس أول جمهورية غانية.

وقد كان من الطبيعي أن يهتم الرئيس نكروما - الصحفى سابقاً بالصحافة ويقدر دورها الإيجابى والسلبي، ويجعل منها أداة ثورية فى سعيه إلى قيادة القارة الأفريقية نحو الوحدة والاشتراكية، إذ كانت أيديولوجيته تقوم على التأثير في القادة الأفارقة وتقديم غانا كنموذج يُحتذى. ولذلك أصبح نكروما أول زعيم أفريقى يضع الصحافة ووسائل الإعلام تحت إشرافه الشخصي المباشر، وإمعاناً فى السيطرة قامت الحكومة بتأسيس مؤسسة حكومية لإصدار الصحف ضمت إليها صحيفة إيفينج نيوز، وأصدرت عدد آخر من الصحف، مثل غانا تايمز Ghanian Times. وعملت الصحيفتان كناطقتين بلسان حزب نكروما. ولإخماد أى صوت معارض قامت حكومة نكروما في ١٩٦٧ بشراء الصحيفة المعارضة الواسعة الانتشار ديلي جرافيك Daily Graphic التى كانت قد صدرت فى عام ١٩٥٠ عن مجموعة الميرور اللندنية، والتى كانت أوسع الصحف الغانية انتشاراً وتوزيعا وفاقت فنياً صحيفتا الحكومة[١].

ومع التوجه الماركسي لحكومة نكروما، ولمواجهة الاتجاهات الرأسمالية التى عبرت عنها بعض الصحف التابعة لشركة المناجم الأوروبية "أشانتى تايمز"[٢]، أصدرت الحكومة صحيفة "ذى سبارك" The Spark، في عام ١٩٦٢ كصحيفة ماركسية جادة.[٣]

وللسيطرة على تدفق الأخبار الخارجية إلى البلاد أنشأت الحكومة وكالة أنباء غانا Ghana News Agency كما أنشأت وزارة للإعلام، ورغم التنظيم الجيد للوكالة والوزارة إلا أنها تركز فقط على الدعاية الحكومية.[٤]

---

(1) Hachten, **Muffled Drums**, p. 168.

(2) Chick, John D. "the Ashanti Times: A Footnote to Ghanian Press History", **African Affairs** 76 (January 1977): 81. Chick, John D. "the Ashanti Times: A Footnote to Ghanian Press History", **African Affairs** 76 (January 1977): 81.

(3) Ainslie, "**The Press in Africa**", p. 62.

(4) Hachten, **Muffled Drums**, p. 172.

إضافة إلى ذلك قامت الحكومة بإغلاق الصحيفة المعارضة الثانية، وهي صحيفة أشانتي بيونير Ashanti Pioneer فى عام ١٩٦٢ واعتقلت جميع محرريها[١].

ويتضح مما سبق أن أول حكم وطنى في غانا قد ضاق كثيراً من حرية الصحافة، رغم أنه كان على رأسه صحفياً سابقاً. وربما يكون هذا هو السبب في التضييق على الصحافة. وقد شملت القيود غير القانونية التى فرضها نكروما على الصحافة: وضع الصحافة تحت إشرافه المباشر، السيطرة على السوق الصحفي من خلال إدخال الحكومة كمالك للصحف، وشراء الصحف المعارضة الواسعة الانتشار، إغلاق الصحف المعارضة واعتقال محرريها، السيطرة على تدفق الأخبار الخارجية إلى البلاد بإنشاء وكالة أنباء وطنية، بالإضافة إلى قمع الصحفيين المعارضين عن طريق فصلهم من العمل الصحفي أو دفعهم إلى الهجرة خارج البلاد. فقد طرد نكروما رئيس تحرير صحيفة ديلى جرافيك في عام ١٩٥٧ لأنه كتب مقالاً بعنوان "ماذا بعد يا نكروما؟" ينتقد فيه إصدار عملة جديدة للبلاد تحمل صورة نكروما. كما طرد صحفيين آخريين في عام ١٩٦١ لكتابتهما تقارير صحفية عن إضرابات عمال السكك الحديدية والميناء.[٢]

وقد وضع نكروما المبادئ الأساسية للنظرية السلطوية في الإعلام، وهى:

١- السيطرة الحكومية شبه الكاملة على جميع وسائل الإعلام الجماهيرية.

٢- قصر دور الصحافة على دعم سياسات الحكومة والدفاع عن أعمالها.

٣- منع وصول الصحافة إلى مصادر الأخبار الحكومية.

٤- منع الصحافة من توجيه أى نقد مباشر للحكومة.[٣]

وقد استخدم نكروما عدة آليات قانونية للحد من حرية الصحافة، نوجزها - حسب تطورها التاريخي - فيما يلي:

---

(1) Smith, "**The Press and Elite Values in Ghana**," p. 680.

(2) Hachten, **Ghana's Press Under the N.R.C**, Ibid, p. 464.

(3) Hachten, **Ghana Press**, Ibid, pp. 459-60.

- لم يقر الدستور الغانى الذى صدر في عام ١٩٦٠ حرية الصحافة. وقد استعاض نكروما عن ذلك بإصدار إعلان مبادئ أشار فيه إلى ضرورة وضع قيود على حرية التعبير للحفاظ على النظام العام والآداب والصحة العامة، والحق ذلك بنص يمنع حرمان أي شخص من حرية التدين أو الحديث أو التنقل أو التجمع السلمي أو التقاضي أمام المحاكم[١].

- في عام ١٩٥٩ أصدر نكروما قانون الاعتقال الوقائي Preventive detention Act ليسمح للحكومة باعتقال أي شخص لمدة تصل إلى خمس سنوات دون توجيه اتهام إليه ودون محاكمة. وخلال العام الأول من تنفيذ هذا القانون تم اعتقال أكثر من سبعين شخصاً أغلبهم من الصحفيين.[٢]

- فى يونيو ١٩٥٩ تذرعت الحكومة بوقوع محاولة انقلاب فاشلة وأصدرت قانون الأنباء الكاذبة Flase Reports Bill، الذى تضمن عقاب من يقوم بنشر بيانات كاذبة شفاهة أو كتابة من شأنها المساس بمصداقية وسمعة الحكومة الغانية بالسجن مدة تتراوح بين خمس وخمسة عشر سنة، سواء تم النشر داخل أم خارج البلاد. وفي نفس الوقت تم تشديد قانون الخيانة العظمى وأصبحت عقوبة الدعوة إلى تغيير نظام الحكم هى الإعدام.

- أصدر نظام نكروما قانوناً جديداً للتحريض على عصيان الحكومة، رفع فيه عقوبة هذه الجريمة إلى السجن خمسة عشر عاماً، بعد أن كانت هذه الجريمة يعاقب عليها بالسجن ثلاث سنوات كحد أقصى فى العهد الاستعماري. وفي أغسطس ١٩٦٠ أصدر النظام لائحة الرقابة، التى منحت رئيس الجمهورية شخصياً سلطة فرض الرقابة على الصحف وحظر إدخال المطبوعات الأجنبية التى لا تتفق – من وجهة نظر الحكومة – والمصلحة العامة إلى البلاد.[٣] وقد طبقت هذه اللائحة على الفور على صحيفة المعارضة الوحيدة في ذلك الوقت وهى Ashanti pioneer ومنعت من الصدور لمدة خمسة أيام، كما تم وضع اثنان من رؤساء تحرير الصحف قيد

---

(1) Pauli Murray and Leslie Rubin, "**The Constitution and Government of Ghana**", London: Sweet and Maxwell, 1964, p. 22.

(2) Gunilla L. Faringer, "**Press Freedom in Africa**", New York: Praeger Publishers, 1991. p. 45.

(3) Frainger, Ibid, p. 45.

الاعتقال الوقائى بعد اتهامهم بالقيام بأنشطة معادية للنظام، شملت محاولة اغتيال نكروما.

- فى عام ١٩٦١ استمر اتجاه النظام نحو وضع مزيد من القيود على الصحافة، وذلك بإضافة مادة جديدة إلى قانون الاعتقال الوقائى تجرم القذف فى حق رئيس الجمهورية أو تشويه سمعته أو الدعوة إلى كراهيته وإزدرائه بجميع طرق النشر الشفهية والطباعية. ووسعت المادة نطاق عمل القانون ليشمل الغانيين في أي مكان في العالم، وتطبيقه بأثر رجعى منذ يوم الاستقلال. وبعد مرور عام واحد على هذا التعديل كان فى سجون نكروما نحو ٣٥٠ صحفياً بسبب هذا القانون.[١]
- في سبتمبر ١٩٦٢نصب نكروما نفسه رئيسا مدى الحياة، وأقام نظام الحزب الواحد، ولهذا تعرض لمحاولة اغتيال قتل فيها ١٥ شخصاً وأصيب المئات. وقد انتهز نكروما الفرصة ففرض حالة الطوارئ على البلاد وفرض رقابة صارمة على الصحافة خاصة على التقارير الصحفية الداخلة إلى غانا والخارجة منها، وقام بطرد مراسلى الصحف الأجنبية، وأنهى هذه الإجراءات بتأميم صحيفة أشانتى بيونير المعارضة.
- في يونيو ١٩٦٣ تدخلت الحكومة فى إصدار الصحف الجديدة وقررت إلزام جميع الصحف بالحصول على ترخيص من وزارة الإعلام حتى تتمكن من إغلاق ما تريد إغلاقه من الصحف وعقاب الصحفيين بدعوى عدم الالتزام بشروط الترخيص.

والطريف أنه رغم هذه القيود الصارمة فإن نكروما - كغيره من حكام العالم الثالث - كان يزعم على الدوام بأن الصحافة في بلاده تتمتع بأكبر قدر من الحرية. فقد قال في يونيو ١٩٦٥ "أن لدينا عدة صحف لكل منها محرروها، هؤلاء المحررون يتمتعون بأكبر قدر من الحرية، إذ يلتقون كل أسبوع بالمسئولين في جميع الإدارات الحكومية والحزب المتصلين بأمور الإعلام ويتناقشون معهم بحرية فى الشئون المحلية والدولية، وبعد ذلك فإن كل محرر حر في اختيار الموضوع الذى يريد أن يكتب فيه"[٢].

---

[1] Frainger, Ibid. p. 46.

[2] Henry L. Bretton, "**The Rise and Fall of Nkrumah**", London: Praeger, 1966, p. 129.

في فبراير ١٩٦٦ أطاح العسكريون فى المجلس الوطنى للتحرير National Liberation Council بحكم نكروما، وأقاموا حكما عسكريا بزعامة الكولونيل أنكراه، استمر نحو ثلاثة سنوات. وقد شهدت الصحافة الغانية – في البداية – تحولات بارزة، كمية ونوعية، تحت حكم العسكريين، نتيجة تحول النهج السياسي للدولة والانقلاب على النظام الاشتراكي الماركسى الذى بدأه نكروما. فمن ناحية تحولت الصحف الثلاثة الرئيسية التى كانت تنطق بلسان حكم نكروما إلى النطق بلسان الحكم العسكري. ومن الطريف – كما يذكر هاشتن[1]، أن الصحف الثلاثة غيرت سياستها التحريرية فور وقوع الانقلاب وصدرت في اليوم التالى دون توقف لتؤيد الانقلاب وقادته. كما عادت إلى الصدور بعض الصحف التى كانت حكومة نكروما قد أغلقتها، وأهمها صحيفة أشانتي بيونير التى أصبحت في هذه الفترة الصحيفة اليومية المستقلة الوحيدة وإن كانت قد غيرت إسمها إلى "بيونير Pioneer" وأطلقت الحكومة العسكرية سراح الصحفيين الذين كان قد تم اعتقالهم أثناء الحكم السابق. ويحسب للحكم العسكري أن الدستور الذى أصدره بدلاً عن دستور نكروما تضمن النص على حريات الإنسان الأساسية ومن بينها حرية التعبير والصحافة. ورغم أنه لم يوقف العمل بالقوانين السابقة المقيدة للصحافة إلا أنه تسامح بعض الشيء مع الصحافة، ومن دلائل ذلك صدور عدة صحف جديدة مثل صحيفة Legon Observer وصحيفة Echo، كما سمح النظام بصدور صحف تعبر عن أحزاب سياسية، وتمتعت الصحافة الغانية بقدر من حرية الصحافة بعد أن ألغت الحكومة الرقابة التى كانت مفروضة على التقارير الصحفية الخارجة من البلاد.

فى المقابل وبعد فترة بدأت الحكومة العسكرية في اتخاذ إجراءات مشابهة لما استخدمته حكومة نكروما السابقة في تقييد حرية الصحافة. وتمثلت هذه الإجراءات في إغلاق عدد من الصحف التى كانت مؤيدة لنكروما، واعتقال رؤساء تحريرها ومحرريها، وتعيين صحفيين موالين لها في الصحف الحكومية التى آلت إليها[2].

---

(1) Hachten, **Ghana Press**..., Ibid, p. 460.

(2) Smith, **The Press and Elite Values in Ghana**, Ibid, p.681.

تخلى العسكريون عن الحكم فى غانا في عام ١٩٦٩ لحكومة مدنية برئاسة كوفي بواسيا بعد فوز حزبه (حزب التقدم Progress Party) فى الانتخابات التى أجريت على أساس الدستور الجيد. وقد شهدت الصحافة الغانية في ظل حكم بواسيا الذى استمر نحو أربعة سنوات، قدراً من الازدهار، بعد أن ألغت الحكومة فى عام ١٩٧٠ عدداً من القوانين المقيدة لحرية الصحافة مثل قانون الترخيص، وقانون الاعتقال الوقائي. وتمثل هذا الازدهار في ظهور صحف جديدة، أهمها صحيفة ستار Star التى أصدرها حزب التقدم الحاكم، وصحيفة سبوكسمان Spokesman ذات الاتجاه الاشتراكي. ومع ذلك فقد حاربت الحكومة المدنية الصحف المعارضة لها بعدة وسائل جديدة لم يكن من بينها – بسبب طبيعتها المدنية – الإغلاق أو اعتقال المحررين. فقد لجأت الحكومة المدنية إلى الضغوط والقيود غير القانونية على الصحف، مثل التمييز ضد الصحف ذات الاتجاهات المعارضة لها فى حصص الإعلان الحكومى وفي منحها الحق في الحصول على المعلومات والأخبار من المصادر الحكومية، واستمرت ظاهرة فصل الصحفيين الذين ينتقدون الحكومة على صفحات الصحف الحكومية، مثل رئيس تحرير صحيفة الديلى جرافيك الحكومية الذى أجبر على تقديم استقالته لنشره مقالاً ينتقد فيه الأداء الحكومى. ورغم ذلك فإن فترة حكم بوسيا كانت تبشر بعودة حرية الصحافة إلى غانا، وكانت واحدة من أكثر فترات الصحافة الغانية حرية منذ الاستقلال[1]، إلا أن انقلاباً عسكرياً جديداً وقع في البلاد وأطاح بالحكم المدنى الثانى وجاء بالعسكريين مرة ثانية إلى السلطة.

في يناير ١٩٧٢ استولي العسكريون في المجلس الوطنى للإصلاح National Redemption Council بزعامة الجنرال أشمبونج Acheampong على السلطة في غانا. وقد أعاد العسكريون اكتشاف واستخدام النظام الإعلامى القمعى الذى كان قائماً فى فترة حكم نكروما، والقائم على احتكار وسائل التعبير في المجتمع والتحكم المباشر في الصحافة، وإغلاق الصحف المعارضة مثل صحيفتى ليجون اوبزرفر وايكو اللتان أغلقتا في عام ١٩٧٤، واعتقال الصحفيين المعارضين وسجنهم. وعلى المستوى القانونى أعاد النظام العمل بكل قوانين نكروما المقيدة لحرية الصحافة وأهمها قانون

---

[1] Twunmasi, "The Newspaper Press and political Leadership in Developing Nations, Ibid, p. 7.

الترخيص وقانون الاعتقال الوقائى، وفرض رقابة صارمة على الصحف وإلزمها بعدم نشر أية مادة دون موافقة كتابية من الرقيب الحكومى.

استمر نظام الجنرال أشمبونج فى قمع الصحافة بشدة متناهية إلى أن وقعت الاضطرابات الشعبية في ١٩٧٨ والتى على إثرها تم إقصاء الجنرال أشمبونج من السلطة وإحلال الجنرال فرديريك اكوفو محله. وقد بدأ اكوفو عهده بالسماح بحرية محدودة للصحافة – مثل بدايات غالبية العسكريين –، وتوقف عن ملاحقة الصحفيين بالسجن والاعتقال وترك للصحف مساحة محدودة من الحرية، خاصة بعد أن أعلن عن برنامج للوفاق الوطنى وألف لجنة لوضع دستور جديد للبلاد. وقد أعربت اللجنة عن إيمانها بحرية الصحافة وضرورة النص عليها صراحة في الدستور، ورأت أن أفضل وسيلة لإنهاء السيطرة الحكومية على الصحافة هى إنشاء مؤسسة عامة تدير الصحف الحكومية وتراقب أوضاع حرية الصحافة. وقد تم بالفعل إنشاء لجنة عامة للصحافة الغانية كان أغلبية أعضائها من الصحفيين وكانت تعمل كرقيب ذاتى على الصحافة.

في يونيو ١٩٧٩ قاد الجنرال جيري راولنج انقلاباً عسكرياً أطاح فيه بنظام فرديريك اكوفو. وقد اتسعت مساحة الحرية الصحفية بعد أن أعاد الجنرال جيري راولنج الحكم المدني إلى البلاد فى عام ١٩٧٩. وبعد عامين فقط من الحكم المدنى عاد جيري راولنج إلى السلطة بإنقلاب عسكري جديد (١٩٨١) وألغى الدستور وعصف بحرية الصحافة في إطار عصفه بجميع المؤسسات الديمقراطية التى أقامها الحكم المدنى السابق عليه. وقد اعتقل راولنج فور توليه السلطة أكثر من ٢٠٠ شخصاً أغلبهم من الصحفيين، وقام بفصل ستة من محرري الصحف الحكومية، وألزم الصحف بالحصول على ترخيص من وزارة الإعلام لاستمرار صدورها، وتوقف عدد كبير من الصحف فى عام ١٩٨٦. وقد حاربت الحكومة الصحف في استيراد الورق مما دفعها إلى تخفيض عدد صفحاتها فى منتصف الثمانينات، وحاربت الصحفيين بالمحاكمات العسكرية بتهم عديدة من بينها الخيانة العظمى.

وقد أدى عدم الاستقرار السياسى والهبوط الاقتصادى الذى شهدته غانا في نهاية الثمانينات إلى انخفاض مستوى الصحافة بها، فانخفض عدد الصحف وانخفض

مستواها، وهربت من الرقابة بالتركيز على الموضوعات غير السياسية مثل الرياضة والفن والجريمة والجنس.

ورغم ثرائها الصحفى قبل الاستقلال تقلص عدد الصحف التى تصدر في غانا فى مطلع التسعينات إلى أربع صحف فقط، تصدر كلها باللغة الإنجليزية من العاصمة أكرا، وفى حجم نصفى فيما عدا صحيفة بيونير التى تصدر فى الحجم العادى، وهى: الديلى جرافيك وتوزع نحو ١٣٠ ألف نسخة، وغانا تايمز وتوزع نحو ١٠٠ ألف نسخة، وبيبول إيفننج نيوز وتوزع نحو ٦٠ ألف نسخة، وبيونير وتوزع ٥٠ ألف نسخة[1].

النتائج:

أ – اختبار الفروض:

١- ثبت عدم صحة الفرض القائل بوجود علاقة ايجابية بين نيل الاستقلال وبين ازدهار حرية الصحافة في غانا. فقد اتضح أن الصحافة الغانية تحت الحكم الوطنى كانت مقيدة بجميع آليات التقييد المعروفة: التشريعات والقوانين، والرقابة المباشرة والذاتية. وعانت الصحف وعانى الصحفيون من اضطهاد الحكام الوطنيين.

٢- ثبت أيضاً عدم صحة الفرض القائل بوجود علاقة بين نوعية الحكومة القائمة (مدنية وعسكرية) وبين ازدهار حرية الصحافة. فقد اتضح أن جميع الحكومات التى تولت الحكم في غانا أياً كان نوعها وطريقة وصولها إلى السلطة، قد قيدت حرية الصحافة.

ب- تفسير النتائج:

رغم القيود الشديدة التى خضعت لها الصحافة الغانية تحت الحكم الاستعماري، فإنها كانت فى ذلك الوقت حرة بقدر كاف لكى تقود النضال الوطنى ضد الاستعمار وتدافع عن مصالح البلاد وتطالب بالاستقلال، وكان لها دور فاعل فى الشئون العامة.

---

(1) Dhyana Ziegler & Molefi K. Asante, "**Thunder & Silence: The Mass Media in Africa**", New Jersey, Africa World Press, Inc., 1992, p. 137.

أما بعد الاستقلال فإن الصحافة في الشئون العامة قد تقلص إلى حد كبير بسبب القيود الأشد التى فرضتها الحكومات الوطنية عليها. وبصفة عامة كانت الصحافة الحرة والمستقلة أولى المؤسسات ذات الطابع الغربي التى انهارت في غانا عقب الاستقلال.

وإجمالا فإن عقد الستينيات (١٩٦٠-١٩٦٩) كان فترة حرجة فى تاريخ الصحافة الغانية، دشنت فيها الحكومة الوطنية الأولى بعد أن استقرت أوضاعها سيطرتها على الصحافة. وقد تميزت هذه الفترة على غير ما كان متوقعاً خلال النضال من أجل الاستقلال، بتزايد تدخل الحكومات المتعاقبة مدنية وعسكرية في الصحافة، من خلال عدة آليات شملت إلى جانب القيود القانونية العديدة، امتلاك واحتكار غالبية الصحف، وتقليص عدد ودور الصحف المستقلة، بالإضافة إلى التدخل المباشر من خلال وزارة الإعلام وإنشاء وكالة الأنباء الوطنية في التدفق الإعلامى داخل البلاد، بالإضافة إلى الضغوط المباشرة التى تعرضت لها الصحف والصحفيون والتى تمثلت في اضطهاد الصحف المستقلة وإجبارها إما إلى التحول إلى صحف حكومية أو الإغلاق، وفصل الصحفيين وسجنهم وإجبارهم على الهجرة خارج البلاد والعيش فى المنفى.

وقد استمرت الأوضاع المتردية لحرية الصحافة في غانا في عقدى السبعينات والثمانينات وبداية التسعينات على ما كانت عليه في الستينات. إذ ظلت الحكومات مدنية وعسكرية تتحكم فى جميع وسائل الإعلام وعلى رأسها الصحافة، واختفت أو كادت الصحف المستقلة. كما استمر قمع الصحفيين المعارضين بفصلهم من أعمالهم وسجنهم ونفيهم خارج البلاد. **ويمكن أن نوجز أسباب عدم تمتع الصحافة الغانية بحريتها بعد حصول غانا على استقلالها في:**

١- حالة العداء الشديد من جانب الحكومات الوطنية القائمة على نظام الحزب الواحد أو التى جاءت نتيجة انقلابات عسكرية، تجاه الصحف والمطبوعات التى لم تستطع التحكم فيها. وحتى الصحف الصغيرة التى قادت النضال ضد المستعمرين أصبح ينظر إليها كأعداء للطبقة الجديدة التى حكمت غانا. وبسبب حالة العداء هذه التى شملت أيضاً الصحف المملوكة لأوروبيين، فقد تعرض الصحفيون سواء في غانا، بانتظام للاغتيال وأحكام الإعدام والسجن على أيدى الحكومات الوطنية. وقد أدى ذلك إلى حرمان الصحافة الغانية من أداء دور فاعل فى الشئون العامة.

٢- القيود الدستورية والقانونية المفروضة على الصحافة التى تجهض مبكرا محاولات إصدار الصحف الخاصة المستقلة عن الحكومات. فبدون حكم القانون - خاصة توفير الحماية التشريعية للحريات المدنية وحماية الملكية الخاصة وحماية الاقليات، فإن الأمل يظل ضعيفاً جداً في قيام حرية صحافة. فبدون الحماية التشريعية والاستقرار الحكومي فإن وسائل الإعلام تنهار. والثابت أنه في غانا فإن الحماية التشريعية للصحافة محدودة للغاية وتنظر الحكومات إلى الصحافة على أنها يجب أن تكون مؤيدة ومساندة لها على الدوام سواء كانت حكومات منتخبة أو حكومات عسكرية. ومن المعروف أنه بدون قيام نظام حكم مدني ديمقراطي يقر حق الأفراد في انتقاد حكامهم، فإن الصحافة نفسها تكون حريتها محدودة فى التعبير عن عدم الرضا أو انتقاد النظام الحاكم.

وقد كشف التحليل السابق لحرية الصحافة في غانا - وفى أفريقيا وفي دول العالم الثالث بصفة عامة - ضرورة مراعاة عدد من العوامل المهمة، أولها وأهمها إن الدول الأفريقية لم تجرب على الإطلاق حرية صحافة حقيقية سواء خلال أو بعد الفترة الاستعمارية. أما العامل الثاني فيتمثل في امتلاك الحكومات فى معظم الدول الأفريقية للصحافة نتيجة لضآلة الاستثمارات المالية في مجال الصحافة. بالإضافة إلى ذلك فإنه يجب أن نضع في اعتبارنا عند الحكم على حرية الصحافة فى غانا وفي أفريقيا جنوب الصحراء بصفة عامة، أن القيود المفروضة على الصحافة الأفريقية ناتجة في الغالب من عوامل متشابكة ومعقدة، تتمثل في:

- النقص الواضح فى المطابع ومستلزمات النشر.
- الأوضاع الاقتصادية المتردية التي لا تتيح الفرصة لتدريب وتأهيل الصحفيين كما لا تتيح الاستثمار فى مجال وسائل الإعلام.
- ضعف الموارد المالية لوسائل الإعلام نتيجة ضعف أو انعدام دخل الإعلان.
- الضغوط الأيديولوجية التي تتعرض لها الصحافة من جانب المعلنين ومالكى الصحف والحكومات.
- ضعف البنية الاتصالية الأساسية المرتبطة بالصحافة، مثل التليفونات والتلكس ووسائل التوزيع.

- التبعية لوكالات الأنباء الدولية حتى في التغطية الإقليمية.
- الأمية وارتفاع سعر بيع الصحف.
- الرقابة الذاتية الناتجة عن الضغوط الحكومية.

ج- خاتمة:

إن المحلل لأوضاع حرية الصحافة في القارة الأفريقية لا يمكن أن يتجاهل مساحة الأمل التى تبشر بها التغيرات السياسية المهمة التى شهدتها بعض دول القارة فى التسعينات، والتى تمثلت في تزايد الرفض الشعبى العام لنظام حكم الحزب الواحد والنظام الاقتصادى الاشتراكي المركزى. وهى التغيرات التى سيكون لها - إن نجحت - أبلغ الأثر فى نهوض الصحافة الأفريقية وتطورها وحصولها على حريتها. ففي عام ١٩٩١ بدأ المواطنون الأفارقة فى بعض الدول الأفريقية جنوب الصحراء في مواجهة الحكم الديكتاتورى والمطالبة بقيام نظام ديمقراطي متعدد الأحزاب. وقد أثمرت هذه المواجهات في سماح ستة عشر دولة خاضعة لنظام الحزب الواحد بقيام أحزاب معارضة في استجابة للحركات الديمقراطية، كما سقطت ثلاث حكومات ماركسية من خلال صناديق الاقتراع. وشهد النصف الأول من التسعينات سقوط الرئيس الزامبى كينيث كاوندا فى أول انتخابات حرة تجري فى زامبيا، وأسقطت المعارضة الشعبية الرئيس الزائيري موبوتو سيسى سيكو.

إن هذه التحولات السياسية سيكون لها - إن هى اكتملت - آثارا ايجابية على حرية الصحافة الأفريقية وعلى تعظيم دورها فى بناء وتنمية المجتمعات الأفريقية، وهو أمر لم يتحقق خلال العقود الثلاثة التى أعقبت الاستقلال. إن حل الإشكالية السياسية للصحافة الأفريقية يبدو وشيكاً فى ضوء المد الديمقراطى الذى يجتاح العالم الثالث بعد سقوط الاتحاد السوفيتى، إلا أن هذا لن يضمن - بالقطع - تمتع الصحافة الأفريقية بحريتها. فالأمر - فى التحليل الأخير - لا يقتصر على المعضلة السياسية فقط، ولكنه يتوقف أيضا على عوامل أخرى أهمها المعضلات الاقتصادية والاجتماعية التى تحد من تطور وحرية الصحافة، وهو ما يحتاج إلى دراسة مفصلة.